

قبيلةٌ من مخورٍ وأسلاف

كيف انتصبتَ وأعطيتَ الجلالَ مدَى؟

وقد حملتَ على أكتافِكَ الأبدَ !

كأنَّـمَـا هـذهِ الأَحـجارُ أزمنةٌ

رُصِّـصَـتْ على بعضِها حتى اسْتَوَتْ جسدا

نَعُودٌ هـا حينما نرقَى مدارجَها

وننثني دون أنْ نُحصي لها عددا

وما بَحَثْـتَـنَا عَن الأسلافِ في حجرٍ

إلا صحا زمنٌ يحكي بما شَهِدَا

غَابَ الجودُ وما غابتْ حقيقتُهُمْ

فلم يزلْ صَوْتُـهُـمْ بالصَّخـرِ مُتَّحـِـدا

فيا رهينَ الليالي في سكينتهِـ

يَعِيشُ كَالنَّاسِ إِنْ سَعَدًا وَإِنْ زَكَّدًا

قَبِيلُهُ مِنْ مَخُورٍ أَنْتَ، أُمُّ بَشَرٍ

تَوَطَّأْنُوا هَذِهِ الْأَكْثَامَ وَالنَّجْدَ؟!

يَا مَنْ يُسَمِّرُ فِي الْعِلْيَاءِ نَاطِرَهُ

كَأَنَّهُ يُتَهَجَّى الْأَنْجَمَ الرَّصَدَا

كَأَنَّهُ مِنْ أَعَالِيهِ يُطِلُّ عَلَى

نَبْوَةٍ، يَجْتَلِي فِيهَا الْمَصِيرَ غَدَا

كَيْفَ انْتَصَبْتَ؟! وَمِنْ أَهْدَاكَ هَيْبَتَهُ

كِي تَكْتَسِي جَبْرُوتًا مُطْلَقًا صَمَدَا؟!

هَلْ مَسَّكَ الْجِنَّ؟! أَمْ أَلْقَتْ مَلَائِكَةُ

عَلَيْكَ مَا أُوتِيَتْ مِنْ رَبِّهَا مَدَدَا؟!

وَأَنْتَ.. هَلْ تَنْتَمِي لِلْأَرْضِ مُنْغَرَسًا

فِيهَا، تُجَسِّدُ مِنْ أَوْتَادِهَا وَتَدَا؟!

أَمْ تَنْتَمِي لِلْأَعَالِي حَدَّ أَنْ رَفَعَتْ

بِرِّكَ السَّمَاوَاتُ، مِنْ عَمْدَانِهَا عَمَدَا؟!

أَمْ أَنْتَ فِي حَيْرَةٍ صَمَّاءَ بَيْنَهُمَا؟

صَدَّيَّعَتَ ذَاتَكَ فِي رَحْبِ الْفَضَاءِ سُدى!

مَسَافِرٌ فِي تَضَارِيصِ الشُّرُودِ إِلَى

لَا أَيْنَ، تَضْرِبُ فِي الْآفَاقِ مُجْتَهِدًا!

مُشَرَّرٌ دُ مِثْلَمَا الْإِنْسَانُ؛ مُلْتَبِسٌ

فِي الْإِنْتِمَاءِ، وَلَمْ تَمْسَسْكَ نَارُ هُدًى

أُصْغِي إِلَى صَمْتِكَ الدَّهْرِيَّ يَهْمِسُ لِي

مَنْ لَمْ يَجِدْ ذَاتَهُ فِيهِ فَلَنْ يَجِدَا!

يَا مَنْ يُرَبِّي قُرَانًا فِي صِلَابَتِهِ

نَهْجًا عَلَيْهِ يُرَبِّي الْوَالِدُ الْوَلَدَا

نُصْغِي لِأَسْرَارِكَ الْعُظْمَى وَنَرُصِدُهَا

فهل تُحسُّ بِمَنْ أَصْغَى وَمَنْ رَمَدَ؟!!

ويا مخورًا قرأنا في ملامحها

ملاح الأهل تاريخًا ومستندًا

هذي الجلاميد أسفارًا مكدسة

تشتاق لو لامست عقلاً وليس يدًا

نجلو عذرك في أغوار مكتبة

من التراث، ولا ندري لها أمدا

يقال: ما برحت بئر الحياة هنا

نضّاحة ما روت من مائها أحدا!

يقال: إن لها سحرًا تمس به

من ذاقها فيعيش الخلد والأبد!

يا حارس البئر.. لا بئر ولا حرس

لكنّه الوهم في أذهاننا اتقدا

فانضح بعذرك عشّاق السراب إذا

تَخَيَّرَ لُوكَ مُقَرِّمًا تَحْرُسُ الزَّيَّادَ

لو أنَّ دَمْعِي شَهِدَ حِينَ أَذْرَفُهُ

لم أُحْصِ ما ذَرَفَتْ عَيْنِي مِنَ الشَّهْدِ!!

تَشَوَّوْا فَتَ لَكَ فِي نَجْوَى خَاطِرَةٍ

فَأَشْوَغَلَتْ نِي خِيالًا زَيَّتُهُ زَفَرِدًا

أرى كهو فَلَكَ فِي نَفْسِي فَأَدْخُلُهَا

لكي أَضِيءَ مِنَ الْأَعْمَاقِ مَا خَمَدًا

كَأَنَّ مَا كُلُّ كَهْفٍ فِيكَ صَوْمَعَةٍ

فِي النَفْسِ، تَمْنَحُنِي الْإِيْمَانَ وَالرَّشَدَ

يا تَوَّامَ الشَّمْسِ قِدْمًا.. مِنْذُ أَنْ سَكَبَتْ

عَلَيْكَ أَوَّلَ ضَوْءٍ فِي الْمَدَى وَلَدًا!!

ما زِلْتَ وَالْفَجَرَ مَغْمُورًا بِبَهْجَتِهِ

حتى تَأْخِيتُما نُورًا وَسِحْرَ نَدَى

تَغْفُو عَلَى سِرِّكَ الصَّخْرِيِّ مُلْتَحِفًا

عُورِي الطَّبِيعَةَ .. بِالْمَجْهُولِ مُحْتَشِدًا

وَلِلْفُصُولِ عَلَى سَفْحِكَ مَعْرَكَةٌ

شِعْوَاءُ تُفْنِي عَدِيدَ الْوَقْتِ، وَالْعُدَدَا

وَأَنْتَ سَاهٍ عَنِ الْغَارَاتِ مَتَّكِيٌّ

عَلَيْكَ، لَا تَشْتَكِي بِرْدًا وَلَا صَهْدًا

مَنْ طُولَ بِأَلِكِ طَالَتْ مِنْكَ شَاهِقَةٌ

عَلِيَاءُ تَمْتَدُّ صَبْرًا .. تَرْتَقِي جَلَدًا!

إِذَا اخْتَلَسْنَا لَكَ الرُّوْيَا تَخَطَّافَنَا

بَرْقُ الشَّمُوحِ فَعُدْنَا نَشْتَكِي الرَّمَدَا

تُعْشِي حَقِيفَتُكَ الطُّوْلَى مُحَاجِرَنَا

مَنْ فَرَطَ مَا تَخْرُقُ الْآفَاقَ مُتَّعِدًا

هَذَا مَرَايَاكَ؛ تَسْتَجْلِي ضَالَّتَنَا

فِيهَا، وَتَجْلُوكَ مِنْ صَوَّانِهَا أَسَدَا

هُنَا جُذُورُكَ تَرَسُّو فِي جَوَانِحِنَا

مَهْمَا جَبِينُكَ فِي عَلِيَائِهِ ابْتَعَدَا

يَا عَاكِفًا فِي رَحَابِ الْغَيْبِ مُنْتَبِذًا

مِنَ السَّمَاوَاتِ وَجَهًّا وَاحِدًا أَحَدًا

تَحْنُو الْغَمَامَةُ إِنَّ حَامِتَهُ بِقِمِّتِهِ

حَتَّى تَلْفَ عَلَيْهِ الزُّنْدَ وَالْعَصْدَا

مَا انْفَلَكَ يَغْرِفُ مِنْ جَوْفِ السَّحَابِ لَهُ

مَاءَ الْوُضُوءِ وَيُحْيِي الْوَرْدَ مُنْفَرِدَا

لَا زَعَزَعَاتُهُ رِيَّاحُ الشُّكِّ عَادِيَةٌ

وَلَا أَصَابَتُهُ فِي مَكْنُونٍ مَا اعْتَقَدَا

شَيْخٌ عَلَى الْأُفُقِ مَا زَالَتْ عِمَامَتُهُ

شَمْسَاءٌ، تَسْبِحُ فِي مَعْرَاجِهَا مُعْدَا

رَاسٍ؛ إِذَا اضْطَرَبَتْ فِيهِ هَوَاجِسُهُ

صَلَّيْ بِهَا، وَعَلَى إِيْمَانِهِ اسْتَغْدَا

يَا نَاسِكًا فِي رَحَابِ الْغَيْبِ مَنْقُطَعًا

كَأَنَّهُ يُتَلَفَّسِي مَنْ عُلَّاهُ نِدَا

بِمِثْلٍ صَمْتِكَ هَذَا مَا جَرَى نُسُكُ

وَلَا إِلَهِهُ بِهَذَا الْعُمُقِ مَا عُيِدَا!

مَاذَا تَلَمَّسْتَ فِي الْعُلْيَاءِ مِنْ خَبْرٍ

مَّسَّا هُنَاكَ مِنْ أَسْرَارِنَا خَلْدَا؟!

فَنَحْنُ مِثْلُكَ نُسَّسَاكَ نَتَوَقُّ إِلَى

وَحْيٍ يُحَرِّرُ مِنْ أَعْمَاقِنَا الْعُقْدَا

مَا زَالَ يُرْعِدُ صَوْتُ الْغَيْبِ فِي دَمِنَا

وَلَمْ يَزَلْ دَمِنَا بِالصَّوْتِ مُرْتَعِدَا

يَا بِيرَقًا رَكَزَتْهُ فِي رُبِّي (هَجَرٍ)

يَدُ إِلَهِ، عَلَى الْآفَاقِ مُنْعَقِدَا!

مُـمَوِّسِقًا كُلَّ رِيحٍ تَسْتَظِلُّ بِهِ

فَتَنَنِّي عَنْهُ لَحْزًا حَالِمًا غَرْدًا

مَا هَفَفَتْ هَفَاتٍ نَسَمَةٍ إِلَّا صَحَا وَتَرَرُ

في الصخر، وانسلَّ من طبعِ الحصى، وشَدَّ

واجْتَادَنَا فِي نَشِيدٍ لَا يَغِيبُ لَهُ

صَوْتُ مِنْ الرُّوحِ إِلَّا نَابَ عَنْهُ صَدَى

صَخْرٍ يُغَعِّدُ؛ وَنُصْغِي لَا لِنَفْهَمِهِ

لَكِنْ لَكِي نَتَمَلَّأُ نَشْوَةَ السُّعَدَا!

وَكَلَّامًا عَمَصَفَتْ بِاللَّحْنِ عَاصِفَةٌ

صَارَ النَشِيدُ سَرَاجًا هَامِدًا بَدَدًا

قَالَتْ لَنَا (الرَّيحُ)..و(القَنْدِيلُ) مَنْطَفِئُ

لَنْ تُوقِدُوا الْحَبَّ حَتَّى تُطْفِئُوا الْحَسَدَا!